Linguistic and Philosophical Investigations
ISSN: 1841-2394, e-ISSN: 2471-0881
Vol 25 (1), 2026
pp. 513–523

Feminism and the debate on systems

Dr. Habouchi bentcherif [1], Dr. Kohli Mohamed [2]

[1:] Université oran 2, Algeria, Unité de recherche en sciences humaines pour les études philosophiques et sociales, habouchibent@yahoo.fr

[2:] Université de mascara, Algeria, Unité de recherche en sciences humaines pour les études philosophiques et sociales, m.kehli@univ-mascara.dz

Abstract:

Feminism provided a fertile topic for cultural criticism, and at the same time through it it was able to destroy academic legitimacy. It is true that the approaches of modernity - both systemic and contextual - have crystallized the aesthetics of texts that deal with feminism, but to some extent they remained deficient in terms of contents, and from here the theory of systems intervened with its relativity. And its interface is in dialogue with both the aesthetic and the intellectual, using renewable and diverse procedural tools.

This approach will take two paths:

A theoretical path in which we will explore the nature of the cultural approach and dissect the system within it, while focusing on feminism and its categories.

It is an applied path through which we aim to uncover patterns that are compatible with feminist thought.

Keywords: System - feminism - cultural criticism - form - objectification – subaltern

Received: 01 May 2026 **Accepted:** 16 May 2026 **Published:** 01 June 2026

النسوية وجدل الأنساق

د. حبوشي بنت الشريف[1]، د. كحلي محمد [2]

[1]: جامعة وهران –2–، الجزائر، وحدة البحث علوم الإنسان للدراسات الفلسفية، الاجتماعية،
habouchibent@yahoo.fr

[2]: جامعة معسكر، الجزائر، وحدة البحث علوم الإنسان للدراسات الفلسفية، الاجتماعية،
m.kehli@univ-mascara.dz

ملخص

قدّمت النسوية مبحثا خصباً للنقد الثقافي، وفي الآن نفسه استطاعت من خلاله افتكاك الشرعيّة الأكاديميّة، صحيح أنّ مناهج الحداثة –النسقيّة منها والسياقيّة – قد بلورت جماليّة النصوص التي تتعرّض للنسويّة، لكنّها إلى حدّ ما بقيت قاصرة فيما يخصّ المضامين، ومن هنا تدخّلت نظرية الأنساق بنسبيّتها وبينيّتها لتحاور كلّاً من الجماليّ والفكريّ بأدواتٍ إجرائيّة متجدّدة ومتنوعة .

ستتّخذ هذه المقاربة مسارين :

مسار نظريّ سنتعرّض فيه لماهية المقاربة الثقافيّة ولتشريح النسق في خضمّها، مع التعريج على النسويّة بمقولاتها .

ومسار تطبيقيّ نتوخّى من خلاله الكشف عن الأنساق ذات التواشج مع الفكر النسوي .

الكلمات المفتاحية : نسق – نسويّة – نقد ثقافي – الشكل – التشيؤ – التابع .

–مقدمة

تتميّز القصّة القصيرة عن باقي أنواع السرد بخصائص تجعلها متفرّدة في مستوياتها الفنّية لغويا وبينائيّاً، وحيث أنّها أحدث الأجناس السّردية فإنّها في انكتابها عبر الحقب كشفت للمتلقّي عن علاقة جديدة باللغة، علاقة تتّسم بالتجدّد والتجريب الدائمين، وهو ما لا يتوفّر في الرواية – مثلا – بصورة مطّردة لأنّ المؤلّف الروائيّ متاح له من مساحة السّرد ما يطمئنه على بلورة خطاباته، ووصولها إلى المتلقّي مفصّلة في دعة ويسر .

كان على القصّة القصيرة من نشأتها – إذن – أنْ تشقّ لنفسها نهجاً يتيح لها – هي الأخرى– بلورة خطاب مستقلّ، تستطيع من خلاله تبليغ رسائلها، ولعلّها وصلت إلى هذه المرحلة مع الجيل الذي تلا جيل الرواد، والذي يأتي في مقدّمته الكاتب الروسي – السوفياتي سابقاً– أنطوان تشيكوف، وعلى رأس هذه التقنيات التي عزّزتْ خطاب القصّة القصيرة؛ الاِقتصاد اللغوي على مستوى الشّكل، وتبنّي السخرية على مستوى المضمون .

بيد أنّ أهمّ ما يميّز القصّة القصيرة هو عظم خزانتها الثّقافيّة، فقد كانت – تحت تأثير الرؤية المادّية الماركسية – معينا لا ينضب في مرافقتها لحركة الإنسان، وخير معبّر عن آلامه وتطلّعاته، وبخاصّة في خضمّ التحوّلات الكبرى التي شهدها القرن العشرين؛ سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، فقد حاولت القصّة القصيرة تحرير التفكير الإنساني من بداياته بتشريح كلّ الإكراهات التي تعترض سيرورة حركته، وحاولت رسم نهايات تليق بالإنسان . ومن أهمّ القضايا التي طفحت على السطح في القرن العشرين – قرن الحداثة– قضيّة المرأة ، وتحديدا الفكر النسوي .

تحاول هذه الورقة – من خلال قراءة ثقافية لنماذج قصصيّة قصيرة عند تشيكوف– أنْ تستكنه الأنساق الثقافية التي انكتبت داخل هذه القصص، والتي لها تواشج وثيق مع المرأة والفكر النسوي ككلّ، ومدى نجاح تشيكوف في رصد حركة المرأة فيما كتب .

1. ثقافة النص :

ليس من الإنصاف جحد ماقدّمته مناهج الحداثة – وما قبلها– من محاورات باذخة للنص الأدبي؛ كشفت مواطن الجمال، وسعت إلى تعديل النقص الذي يكتنف النصّ، بيد أنّ هذه المحاورات ظلّت حقباً طوالاً لا ترى النصّ الأدبيّ إلّا من حيث إنّه بنية لغويّة تتألّف من تجاور علامات، تشي في الأخير بدلالة معيّنة، في الوقت الذي يلحّ الواقع النصّانيّ أنّ النصّ الإبداعيّ حاثة ثقافية قبل أن يكون تشكيلاً لغويا منغلقا ينتظر مشرط الجماليّة كي يبين عن فنّياته .

لقد كان الانتقال من الرؤية الجمالية في النقد إلى رؤية الأنساق ضرورة أملتها تحوّلات الوجود، وتحوّلات المعرفة تحديدا، ففي ظلّ تآكل الحدود بين مجالات المعرفة، وبروز أصوات نقديّة تنادي بأنسنة الفكر، والمعرفة البينيّة؛ لم يعد من اللّائق محاورة النصوص بالأدوات الجمالية حصراً، لأنّها ستكون محاورة ساذجة ليس لها من الإمكانات سوى توسّل اللغة، وإجهاد القريحة في تأوّل العلامات، أيْ أنّها ستعزّز مقولة أنّ النصّ نسق لغويّ مغلق، لا سبيل إلى الولوج داخله إلّا من خلال النقد الجمالي الذي ينطلق من الألعاب اللغوية .

النصّ الإبداعيّ من منظور النقد الثقافيّ نتاج نسق قديم، متمركز في اللّاوعي الجمعي والفردي، هذا النسق يمثّل الإكراه الأوّل، من خلاله ترتسم التوجّهات الفكرية والعقائدية، وما الممارسات النصّية بمختلف أشكالها البلاغية سوى حيل لتمير هذه الأنساق، وحين تكون الحال هذه فإنّه من المستحيل وجود محاورة لهذا النصّ من خلال مركزيّة اللغة فقط، بل ليست اللغة سوى وسيلة من وسائل المحاورة، سيكون على الناقد آنذاك التوسّل بالكثير من المجالات شديدة الصلة بحركة الإنسان وصراعه مع الوجود من مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، واللاهوت والسياسة... من مجالات المعرفة الإنسانية، وهو ما سيكون في الجانب التطبيقي .

2. نحو مفهمة النسق :

قد يجد الدارس الثقافيّ المبرّر لتجاوز بعض المفاهيم الثقافية؛ بيْد أنّه من الصعب أنْ يتجاهل النسق كأهمّ مفهوم في النقد الثقافي، بل شريحته الكبرى، فمن خلال الوعي النقديّ بهذا المفهوم يرجى للقراءة الثقافيّة

أنْ تكون أقرب إلى الموضوعيّة، وبخاصّة في زمن تضاربت فيه المفاهيم، بل يذهب ابراهيم نافع إلى أبعد من هذا حين يؤكّد أنّ « عدم استيعاب مفهوم النسق جلب الكثير من العنت على النقد الثقافي، لعلّ أبسط هذا العنت عدم تفريق بعضهم بين النقد الثقافي كإجراء بينيّ جماليّ يتناول المنجز الإبداعي، وبين الدراسات الثقافيّة التي تعنى بالإشكالات الأنثروبولوجيّة »[1] .

نجد تعريف النّسق في المعجم الفلسفيّ بأنّه «مجموعة من الآراء والنّظريّات الفلسفيّة التي ارتبطت بعضها ببعض منطقيًّا، وصارت ذات وحدة عضويّة متناسقة ومتماثلة» 2، ولم يبتعد "بارسونز" حين رأى أنّ النّسق «هو ذلك التّصوّر الذي يضمّ مجموعة من الأنساق الاجتماعيّة تنحصر أساسًا في وظائف التّكيّف وتحقيق الهدف، والمحافظة على النّسق في ظلّ التّفاعل مع الفروع »[3]، ويحاول العراب الغذامي أن يستفيد من المفهوم الفلسفي للنسق ، ليوظفه في قراءة النصوص، فيرى أنّ « يتحدّد النّسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده، والوظيفة النّسقيّة لا تحدث إلّا في وضع مقيّد ومحدّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا ناسخًا للظاهر، ويكون ذلك في نصّ واحد، ويشترط في النّص أن يكون جماليًّا وأن يكون جماهيريًّا »[4]، وهو تعريف دقيق مع التحفّظ على تمسّكه بنظرية القبحيات .

ولعلّ الأقرب للصواب أنّ النسقهو تلك الخبرات القديمة التي تراكمت في الوجداني الإنساني، والتي حافظت على ترابطها وانتظامها، والتي تظهر كلّ حين منكتبة في اللغة عن طريق البلاغة، وعلى هذا الأساس نقصي نظرية القبحيات، واشتراط التخفّي دائماً، فالحياة الإنسانيّة ليست كلّها قبحيات، كما يمكن أنْ يكون النسق ظاهراً، وفوقيا تتحرّك داخله الكثير من الأنساق الجزئيّة، المهمّ فقط شرطان :

- خطاب خصب مكتظّ بالتراكمات الإنسانيّة؛ يجعل عمليّة الحفر ذات متعة .
- وذائقة تأويليّة حساسة لكلّ لقطة بلاغيّة من لدن النصّ .

من المهمّ أيضا في مفهمة النسق أنْ نشير إلى تواشج يمكن أنْ نوجده بين الحفريات التي اتخذها الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو منهجا لمقاربة النصوص، وبين النسق، وهو ما يدلّ على فهمه العالي لمفهوم النسق .

لقد عاد ميشال فوكو في مقاربته لظواهر السلطة والجنون والعيادة إلى الخطاب السائد في مرحلة ما من تاريخ الإنسان، ثم أخذ يجمع التقاطعات والانفصالات بين مختلف الخطابات لينتهي في النهاية إلى مخرجات أقرب للموضوعيّة، « إنّ تاريخ الخطاب عند ميشال فوكو ليس هو تتابع الأحداث، وليس هو الأحداث الكبرى، بل إنّ سيرورة التاريخ إنعطافيّة بالدرجة الأولى، وهو ما يحرض على البحث في التاريخ في الهامش »[5] ، وإذا لم يكن هناك مبرّر للإنتقائيّة في الخطاب – بحسب ميشال فوكو – التي تحرم المتلقّي من اللحظة الإبستيميّة للخطاب الدارج، الذي هو النسق نفسه في قراءة النصوص، ومن ثمّة النسق لم يعد مجرّد سلوك بشريّ، بل هو إلى مفهوم القدر أقرب .

3. بين النسوية والنقد الثقافي :

تقدّم الرؤية الثقافيّة نفسها على أنّها نشاط معرفيّ بينيّ وليست منهج خاضا لصرامة منبثقة عن مرجعيّة معيّنة، ومن ثمّة فهي تتسم بالليونة التي تجعل منها قابلة للتواشج مع الكثير من مجالات الفكر، لهذا نجد الناقد عبد الله الأنصاري يحدّد وظيفة النّقد الثّقافي في أنّه « يدرس النّصّ لا من النّاحية الجماليّة، بل من حيث علاقته بالإيديولوجيّات والمؤثّرات التّاريخيّة والسّياسيّة والفكريّة ، ويقوم بالكشف عنها وتحليلها بعد تشريح النّص »6، ولعلّ أهمّ مجال معرفيّ انفتح عليه النقد الثقافي هو مجال الفكر النسوي، وهو انفتاح لك يكن مجّانيا بالمطلق، بل كان منفعة متبادلة منذ اللحظة الأولى .

ففي خضمّ احتفائه بالهامش، والبحث في التخوم، « وجد النقد الثقافي في الفكر النسويّ مجالاً خصيباً أهملته الحداثة بمقولاتها الكبرى، فلم ترَ في النسوية –حين رأتْ– سوى حركة حقوقيّة تناضل عن مكاسب اقتصاديّة، وأهملت بعد هذا الجانب العاطفي والروحي؛ مناط عذابات الأنثى، ومركز هويّتها، بالرّغم من ادّعائها مركزية الإنسان »[7]، وأثبت – الرؤية الثقافية – أنّ الحداثة إنّما كانت تكرّس مركزيّة الذكورة، ومن ثمّة ارتهنت مقارباته باحثة في أصول النسوية وتطلّعاتها، مشرّحا الداخل النسوي في أبعد المكانات المظلمة داخل النفسيّة الأنثوية المقهورة .

من جانبها أسّستْ النسويّة لتحيّزات خطابيّة مهمّة استطاعت من خلالها أنْ تغري مجالاً كالدرس الثقافي بتبنّيها، لتنتزع منه في النهاية الغطاء الأكاديمي، وتصبح الرؤية النسويّة فلسفة قائمة بذاتها، تدرّس في الجامعات، وتتمظهر سياسيا واجتماعيّا في تكتّلات ترافع عن الأنثى، وتجلّي حاجة الوجود إليها، فمواضيع من مثل: الجسد والجنس والمثليّة والهوية الجندريّة... كان ستكون نسيا منسياً على تخوم المعرفة، وتوأد في مهدها لولا انفتاح هذا المجال ونقصد به النقد الثقافي، وفي المحصّلة « فإنّ الدرس الثقافي كسب مساحة نقديّة خصبة بتبنّيه الفكر النسوي كهامش تابع – بتعبير غايتيري سبيفاك – بينما الفكر النسويّ افتكّ الشرعيّة الأكاديميّة لمباحثه [8]» .

4. الجانب التطبيقيّ :

أمّـــا قـــبـــل :

من المهمّ في هذا المقام أنْ نشير إلى أمرين:

- **أوّلـهـمـا** : يتعلّق بخواص القصّة القصيرة عند تشيكوف، فقد كان له فضل السبق في نضج هذا الجنس وخروجه من المرحلة الجنينيّة، ولا أدلّ على ذلك من تلك المقاطع التي تمتلئ شعريّة طافحة، وتلك المسحة الإنسانيّة التي لا تلتفت إلى الإحداثيات العرقية والدينية، والتي تتبرّأ من أيّ ارتباط مع السلطة أيّاً كان نوعها، لأنّ المقصود هو الذات الإنسانيّة بآلامها وتطلّعاتها، ولأنّ مهمّة الأدب الرئيسة هي التنوير؛ بصرف النظر عن ما يتوخّى لاحقاً من متعة فنّية .
- **ثانيهما**: يتعلّق بالنسوية التي بدأت حركة سياسيّة، ثمّ تحوّلت لاحقاً إلى توجّه فكريّ؛ له أسسه، يسعى إلى خلخلة المنطق الذكوري، ولعلّه السبب في تعدّد تحديداتها، ولعلّ أقرب هذه المفاهيم

إلى الواقع ما جاء في قاموس كامبردج للفلسفة أنّها :« تلك الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الانسانية بخبرة الرجل ، دون خبرة المرأة.»[9] ، وأشمل من هذا ما أوردته سارة جامبل حين ترى أن «النسوية مصطلح يشير إلى كل من يعتقد أن المرأة تأخذ مكانة أدنى من الرجل في المجتمعات التي تضع الرجال و النساء في تصانيف..... مختلفة ».[10] .

1.5. نسق الشّكل :

يكتسي « الشّكل » كنسق كلّي متجذّر في الوجداني الإنساني أهمّية بالغة عند جمهور الدارسين، ذلك أنّه يندر أنْ ينوجد مجال في الحياة لم يتسرّب إليه هذا النسق، والمقصود منه تلك اللحظة النفسيّة التي تصطنع تصوّراً في لا وعي الذات ينذرها بأنّ خطراً ما يهدّد جوهرها، ومن ثمّة ترسم لنفسها شكلاً سيكون بمثابة سياج حديديّ يقي هويّتها، وثيمة « الشّكل » ثيمة قديمة ظهرت أوّل تمثّلاتها في تمايز أشكال الألبسة، ثمّ تسرّب إلى مختلف الطقوس الدينية عند الجماعات البشريّة، ويتبلور المفهوم بصورة أنضج في جدل الشكل والمضمون عند الفلاسفة، من مثل ما أُثِرَ عن التوحيدي في قوله : « اعلم انّ النّاظر في هذا الكتاب رجلان: رجلٌ ينظر إلى الأشياء، ورجلٌ ينظر في الأشياء »[11]، ويظهر المفهوم في صورة أمعن في التجريد حين يتعلّق الأمر بالتصنيفات المأثورة عن المتصوّفة، والتي تتّهم العوام بالاقتصار على شكل الحياة، بينما يهتمّ الخواص بجوهر الحياة، فالأوّل يقترب من مفهوم « القطيع » عند نيتشه، ويترادف المفهوم الثاني مع مفهوم « الدازاين » عند هايدغر .

في قصّة « دموع لا يراها العالم»[12]؛ يقدّم تشيكوف أنموذجا مغرقاً في الواقعيّة لنسق الشكل، حيث يتورّط الضابط (ربيروتيوسوف) في دعوة أصدقائه في النادي إلى عشاء، ثمّ يجد معارضة شديدة من زوجته (إيرينا) لهذه الدعوة غير المناسبة توقيتاً، ويتمدّد خيط السّرد خطوات قليلاً ليكتشف المتلقّي أنّ الأمر ليس مجرّد معارضة عابرة من زوجة لزوجها، بل هي قضيّة تسلّط زوجة على شريكها، يتجلّى هذا من خلال المشهدية التي يرسمها تشيكوف للزوج وهو يصف زوجته بالعصبيّة، ثم صعوده إلى غرفتها« على أطراف أصابعه »[13]، و« يقترب من السرير بحذر »[14]، ثمّ يمعن في استجدائها – راكعاً عند قدميها –أنْ تعطيه مفاتيح الصالون لراحة ضيفانه، وفي لحظة غضب تنهال عليه ضرباً ليتورّم خدّه، «إضربي .. إضربي زوجك الوحيد، لكن أتوسّل أليْك ... سامحيني... لا تفضحيني أمام الناس »[15] .

تحدث المفارقة النسقيّة حين تنزل الزوجة (إيرينا) إلى الصالون لتستقبل الضيوف بكلّ لباقة، ثمّ تمعن في تدليل زوجها بكلّ تفانٍ .

المتلقّي هنا إزاء انفصام في المجتمع يصعب تفسيره بعيداً عن نسق « الشكل»، أو بتعبير أدقّ : « عائلة الشكل»، الناتج عن رهاب المجتمع، من هنا يتمّ تصدير صورة مجمّلة إلى المجتمع تكتظّ بكلّ أنواع القيم؛ من شأنها الحفاظ على المكانة، بينما النقيض حين تتوارى عين المجتمع .

كما تمّت الإشارة إليه قبلاً؛ يمثّل نسق الشكل نسقاً كلّياً تتحرك داخله الكثير من الأنساق الصغرى، ومن ثمّة في الإمكان رصد بعضهامن مثل :

https://philolinginvestigations.com

- تجسّد القصّة نسق «التابع»[16] العنيف، الذي نتج عن تغوّل الفكر النسوي الراديكالي؛ الذي بدأ من مجرّد حركة فئويّة مطالبة بالمساواة في الحقوق السياسية والاجتماعيّة إلى حركة متطرّفة مطالبة بالمساواة البيولوجيّة، وهو ما ظهر في النسق المضادّ المتمثّل في ضرب الزوجة زوجها، وهو نسق مضادّ للنسق التقليدي المتمثّل في العنف الذكوري ضدّ المرأة .

- في الإمكان – زاوية مغايرة أنْ نرصد نقدا لاذعاً لتمثّلات السلطة في الدول الشمولية، والمتمثّل في عسكريتها غالباً، والتي لا تستقوي إلّا على مواطنيها، بينما تهادن الآخر وتتنازل له عن الثوابت، يتجلّ هذا في رمزية الزوج الضابط (ربيروتيوسوف)، الذي يسبّ المجنّد البسيط – رمز الشعب المهمّش – بأقذع أنواع السّباب، بينما يقف ذليلاً راكعا إزاء زوجته، إنّه مظهر آخر من مظهر الانفصام الذي يعيشه إنسان القرن العشرين، الذي تاه وسط مشاريع اصطنعها فلم تبلّ ظمأه، بل فاقمة أزمته بكلّ أنواع العذابات .

2.5. نسق التابع الممّحي :

يجد الكثير من الباحثين المبرّر الأخلاقيّ للعنف الذي تميّزت به النسوية الراديكالية، لأنّه نتاج الشّعور بالسلب والاغتصاب، فقد عرف العهد (الإمستي)[17]، سيادة العنصر النسويّ للتجمّعات القبلية، بينما اقتصرت وظيفة الرجل على الصيد، وفي ظلّ سيادة الزواج المشاعي كان الطفل ينسب واقعا إلى أمّه بدلا من أبيه، ومع ظهور الزراعة، وبعض مظاهر الصناعة تراجعت (الإمستيّة) وبدأ العهد (البستيّ)[18]، الذي عرفت فيه الأنثى أحلك مراحلها، فلم تكن تتواجد إلّا في سوق الإماء، أو على السرير، أو في الأعمال التي تمثّل راحة الرجل .

كان للنّاقدة الهندوأمريكيّة غايتري سبيفاك، فضل تكريس مفهوم (التابع) عبر مجموعة من المداخلات توّجتها بكتيّبها الشّهير: «هل يستطيع التّابع أن يتكلّم؟»، فقد أمدّت من خلاله المصطلح – (التابع) – بليونة تسهّل تموضعه ضمن الكثير من المجالات المعرفيّة التي « تخلق ثيمات جدليّة ونسقيّة، وطروحات فكريّة وفلسفيّة تستفزّ النّاقد المختلف من أجل تفكيك مسكوتاتها التّلفّظيّة والمفاهيميّة في بنية الخطاب الأدبي»[19].

في قصّة « المغفّلة » يقدّم تشيكوف أنموذجا مغرقا في الواقعيّة لـ (التابع)، أين يرسم مشهدا خارقاً للخادمة –مربّية الأولاد– مربّية الأولاد (يوليا)، التي تمكّن منها القهر لتدخل في نوع من العدميّة الشعوريّة التي لم تعد تعرف معها لا تعرف معها فرقاً بين اللذّة والألم، حيث يقرّر ربّ العمل أنْ يصرف لها أجرة شهرين، ويشرع في الخصم من مرتبها بأعذار مختلقة، كأنْ يخفّض عدد أيام العمل خمسة أيام، ويخصم الأياد، وثمن الطبق الذي كسرته، ويخصم الثلاثة روبلات التي أخذتها هدية من زوجة رب العمل، إلى أنْ يتبقى أقلّ من عشر أجرتها، في كلّ ذلك كانت الخادمة (يوليا) تعتصر ألماً، ولا تردّ إلّا بـ : «شكراً» .

« رب العمل : يا للشيطان ولكني نهبتك .. سلبتك ! .. لقد سرقت منك ! .. فعلام تقولين شكراً ؟

الخادمة : في أماكن أخرى لم يعطوني شيئاً . »[20]

https://philolinginvestigations.com

في لقطة سرديّة أنيقة – كاسرة لكلّ أفق توقّع – سيكشف تشيكوف للمتلقّي أنّ ما فعله ربّ العمل لم يكن سوى « درساً قاسياً » للخادمة كي ينبّهها إلى المطالبة بحقّها، بدليل أنّه أعطاها أكثر من مرتّبها الحقيقي .

ليس عبثاً أنْ تكون هذه القصّة بين (رجل) و(امرأة)، إنّه الجدل الأنطولوجي بين الذكورة والأنوثة، وليس رب العمل في القصّة سوى الرأسماليّة المتوحشة التي لا يهمّها استنزاف الذات جسدياً ومعنوياً، وليست الخادمة هنا سوى إسقاطاً ذكيّاً لعموم الأنثى المقهورة في العالم، فلو حظيت الخادمة يوليا على بعض الوعي لأمكنها من الحصول على وظيفة تحفظ الكرامة، ولكنّ تبعيتها المادّية للرّجل حولتها إلى (تابعٍ) ممحٍ، مجرد شبح ذات تعيش القهر في كلّ تفصيلة من تفاصيل الحياة .

ومن ثمّة ركّزت النسوية الماركسيّة على تنظيم الطبقة العماليّة النسويّة، وعلى أنْ يكون للأنثى استقلال مادّي يكفيها الحاجة إلى الآخر، فليست القضيّة قضيّة متع من أكل وشرب ومتاع، بل قضيّو إثبات وجود، من خلالها يمكن للأنثى أنْ تؤنّث الوجود ثانية بما يتناسب والإنسانيّة .

لا يمكن بعد هذا أنْ تُستغرب كلّ من العنف والرؤية العدميّة اللذان تبنّتهما بعض أنماط النسوية تجاه بعض القيم والثوابت، لم يكن هذا سوى ردّ فعل عن عذابات الحقب التي كانت فرناً أذاب ما تبقّى من داخل الأنثى، فحوّل رقّتها إلى مطرقة تهوي على كلّ ما من شأنه أنْ يشكّل خطراً عليها، فــ« لكلِّ فعلٍ ردُّ فعلٍ مساوٍ له في المقدار ومضادٌّ له في الاتجاه» .

أبعد من ذلك ذهبت النسويّة الليبيرالية إلى اِعتبار مؤسّسة الزواج مؤسّسة فاشلة من جهة أنّها تقيّد الحريّة بالالتزامات الزوجيّة، ثمّ إنّها تكرّس التملّك الذكوريّ، ما يعني أنّها وجه من وجوه الصفقات البورجوازية، وعلى هذا اجتهدت في تمرير ترسانة من القوانين تتيح حق (المساكنة)، والإجهاض، والزواج المثلي، وحريّة الجسد .

3.5. نسق التشيؤ :

ليس من الانصاف أنْ نبخس الحداثة حقّها في كونها أوّل مشروع إنسانيّ التفت إلى قدسيّة الإنسان، وأزاح عنه كلّ الإكراهات التي كبّلته قروناً، ولسنا نحتاج بعد هذا إلى دليل على النقلة التي خطاها الإنسان في ظلّ الحداثة، والتي جلبت له الرفاه على مختلف الصّعد، بيْد أنّ الحداثة في كلّ هذا تبقى مشروعاً إنسانياً لا يكتمل، مثلما كانت له مزاياه، فقد كانت له مثالب أقلّها الأزمة الوجوديّة التي تعيشها الذات الأنسانيّة المعاصرة، هوويّاً ونفسياً واجتماعياً .

فعل سبيل المثال أتاحت الحداثة للعقل البشريّ عدّة قيميّة وماديّة مكتملة أهّلته أن يقف على ثورة صناعيّة هائلة، وعلى تدفّق قياسي للمعرفة لم يشهده تاريخ الإنسان منذ انوجاده، بيْد أنّ هذا الرّفاه ساهم في تحويل الإنسان إلى مادّة، بتعبير أدقّ إلى (شيء)، سيكون على الإنسان بعدها أنْ يدخل في تجارب كبرى كي يجب عن أسئلة أزمته الوجوديّة، سرديات كبرى اختلقها كي تخفّف وطأة الإحساس بــ:**(التشيؤ)**.

في قصة«الكبش والآنسة » [21]؛ يقدّم تشيكوف أنموذجا مغرقا في السريالية للتشيؤ، حيث يصوّر مشهد موظّف سامٍ في البنك لا يجد ما يملؤ به فراغه سوى اِحتساء الشّراب والتدخين، «أمّا القراءة فقد ملّها منذ زمن سحيق »[22] ، وكذلك التزحلق . ليفاجأ بعدها بخادمه يعلمه أنّ هناك آنسة تودّ مقابلته، يقابل (الرجل المحترم) الآنسة، وينصت إليها بمزيج من الاهتمام والعبث، كانت تريد أنْ يساعدها على اقتطاع تذكرة مجانية إلى بلدتها التي لم تزرها منذ أشهر، ويوافق ال(الرجل المحترم) على طلب الآنسة بكلّ عفويّة، بل ويستطرد معها في الحديث عن الأحوال والأمكنة التي زارها، وعن السياق الذي أصبح مملّاً، وفي مفارقة بديعة يصنعها المؤلّف؛ تكتشف الآنسة أنّ محدّثها موظّف بالبنك، وليس في سكّة الحديد كما توهّمت، وتزيد المفارقة حين يدلّها محدّثها على شقّة مسؤول سكة الحديد .

كان هذا منهى الوعي السرديّ من تشيكوف حين صدّر القصّة بتصدير ساخر : « مشهد قصير من حياة السادة المحترمين »، لقد قدّم من خلال هذا المشهد نقدا لاذعاً للمسؤول في البلدان الشموليّة الذي يكون آخر اِهتماماته القيام بواجبه تجاه الشعب، وليس اختيار وظيفة الشخصيّة كمسؤول في البنك مجانياً، بل للإحالة على استشراء الفساد في المكانات الحساسة من الدولة – الاقتصاد – الذي يمثّل قوت الشعب، سيكون سهلاً بعد ذلك سحب ثيمة الفساد على باقي القطاعات التي لا تشكّل نفس الأهمّية التي يشكّلها قطاع المال .

من جهة ثانية تقدّم القصّة نسق التشيّؤ الذي طال الإنسان عامّة في ظلّ التجريب الحداثوي، وطال المرأة بشكل خاصّ أيضاً، حيث لم تستطع الآنسة – الموظّفة التي حازت نصيباً من التعليم– أن تقتطع تذكرة من أجل غرض إنسانيّ، وهو إسقاط يقدّم بشكل ذكيٍّ ثنائيّة الذات (الآنسة) / الآلة (القطار)، ويقدّم من زاوية أخرى توحّش الليبيرالية التي عصفت بالاقتصاد، وعزّزت من حاجة الإنسان وعوزه . وهي وقفات سرديّة قصيرة أراد بها المؤلّف – دون أنْ يهشّم عمود السرد– الوصول إلى « تشييء» الآنسة، فلم يكن الإسهاب في الحديث معها من لدن (موظف البنك) سوى تمضية للوقت الذي أطاله الفراغ، في الوقت الذي كانت هي تبحث عن مخرج لمشكلتها الإنسانيّة، بتعبير أدقّ لم يكن موظف البنك يراها أكثر من لعبة مسلّية، أو سجارة ينفث معها مله من روتين الحياة، أي مجرّد «شيء» .

6.خاتمة :

في الأمكان ممّا سبق أنْ نخلص إلى مايلي :

استطاعت القصّة القصيرة أنْ تجتذب القرائح وعموم القرّاء لمقدرتها على الخوض في الجزئيّات، وتجسيد الحالات الإنسانيّة في أدقّ تفاصيلها .

لم يعد الرهان قويّاً على كفاية المقاربة اللغويّة منفردة لمحاورة النصّ الإبداعيّ ، ومن ثمّة افتكّت المقاربة الثقافيّة شرعيّتها، واستمدّت قوّتها؛ من خلال البينيّة التي تتيحها أدواتها الإجرائيّة .

لم تكن علاقة النقد الثقافيّ يوماً مجّانيّة مع الفكر النسويّ، بل كانت طافحة بالبراغماتيّة إلى حدّ كبير، فقد أمذّها بشرعيّة التواجد في الجامعة، بينما منحته مساحات خصبة لمختلف ممارساته .

يحسب للفكر النسويّ تماهيه مع مختلف الخطابات الفلسفيّة، ولا أدلّ على ذلك من امتصاصه لمفهوم (التابع)، الذي كان في الأصل ذا طبيعة سياسيّة، فصار مرادفاً للأنثى المقهورة .

يظلّ نسق الشّكل نسقاً كلّياً مهيمنا على تفاصيل اليوميّ الإنسانيّ، ومن ثمّة اتجهت الدراسات الثقافيّة نحو دراسته بغية التخفيف من وطأته، وإصلاح السّلوك الإنساني بالتخفيف من إكراهاته .

صحيح أنّ الحداثة أعادت للإنسان اعتباره، وفرديّته التي دفنتها تراكمات الوهم حقباً طوال، بيد أنّها في تغوّلها لم يحله في بعض ممارساتها إلّا (شيئا) من ضمن أشياء الوجود .

يظلّ تشيكوف بما قدّمه للكتابة الإنسانيّة؛ أحد أهمّ الأصوات التي عبّرت عن الحياة، وقدّمتها في صورتها الواقعيّة الصّادقة، فليس مستغربا بعد هذا أنْ يتربّع على عرش القصّ القصير في العالم .

7 .المصادر والمراجع :

أ. المصادر :

- أنطوان تشيخوف، الأعمال المختارة، مج1،تو أبو بكر يوسف، دار الشروق2009.

ب. المراجع :

- جورج صليبا، المعجم الفلسفي،ج2،دار الكتاب اللبناني،دط،بيروت،1979.
- أبو حيان التوحيدي: رسائل أبي حيان التوحيدي، منشورات وزارة الثّقافة، الجمهورية العربية العربية السوريّة، دط، 2001.
- ساره جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2002.
- محمد نبهان، الدراسات الثقافية في القرن العشرين، ابن زيدون للنشر، دمشق، ط1، 1988
- يوسف عبد الله الأنصاري ، النّقد الثقافي وأسئلة المتلقّي ، جامعة أمّ القرى ، ط1، السعوديّة ،2008
- كرم البيداري، الحفريات السرديّة وأسئلة النص، الحاج أصيل وأبناؤه، الدقهلية، مصر، 1999.
- عبد الله الغذّامي،النقد الثّقافي(قراءة في الأنساق العربيّة)،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004

1) السّيد رشا غنيم وآخرون،التّغيير ودراسة المستقبل،دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة،دط،2002

2) خالد قطب و آخرون خالد قطب و آخرون، الفكر النسوي وثنية جديدة من الحركة النسوية و خلخلة المجتمعات الإسلامية، كتاب مجلة البيان، مصر، 2006

- ابراهيم نافع، نحو علمنة المعرفة ، البيروني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2004

ج. الدوريات:

- خالد قطب و آخرون خالد قطب و آخرون، الفكر النسوي وثنية جديدة من الحركة النسوية و خلخلة المجتمعات الإسلامية، كتاب مجلة البيان، مصر، 2006
- يوسف محمود عليمات: تحوّلات التّابع: قراءة في قصيدة" واحرّ قلباه ..." للمتنبّي، مجلّة جامعة الشّارقة ع 12، 2013.

هوامش البحث:

1 ابراهيم نافع، نحو علمنة المعرفة ، البيروني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2004، ص 14 .
2 جورج صليبا، المعجم الفلسفي،ج2،دار الكتاب اللبناني،دط،بيروت،1979،ص161 .
3 السّيد رشا غنيم وآخرون،التّغيير ودراسة المستقبل،دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة،دط،2002،ص195 .
4 عبد الله الغذّامي،النقد الثّقافي(قراءة في الأنساق العربيّة)،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004ص76 .
5 كرم البيداري، الحفريات السرديّة وأسئلة النص، الحاج أصيل وأبناؤه، الدقهلية، مصر، 1999، ص 201 .
6 يوسف عبد الله الأنصاري ، النّقد الثقافي وأسئلة المتلقّي ، جامعة أمّ القرى ، ط1، السعوديّة ،2008، ص، 46.
7 محمد نبهان، الدراسات الثقافية في القرن العشرين، ابن زيدون للنشر، دمشق، ط1، 1988، ص 44 .
8 المرجع نفسه ص 46 .
9 خالد قطب و آخرون خالد قطب و آخرون، الفكر النسوي وثنية جديدة من الحركة النسوية و خلخلة المجتمعات الإسلامية، كتاب مجلة البيان، مصر، 2006 ، ص، 26.
10 ساره جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة أحمد الشامي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2002، ص، 337.
11 أبو حيان التوحيدي: رسائل أبي حيان التوحيدي، منشورات وزارة الثّقافة، الجمهورية العربية السوريّة، دط، 2001، ص 32-33 .
12 أنطوان تشيخوف، الأعمال المختارة، مج1،تو أبو بكر يوسف، دار الشروق2009، ص66 .
13 المصدر نفسه ص 69 .
14 المصدر نفسه الصفحة نفسها .
15 المصدر نفسه ص 70 .
16 مصطلح ابتكرته الناقدة غايتيري سبيفاك في كتابها (هل يستطيع التابع أنْيتكلّم)، ثمّ عمّم لاحقاً ليشمل المرأة كتابع للرجل .
17 مصطلح يعبّر به عن العهد الأمومي في المجتمعات القديمة، حيث سيادة القبيلة تسند للجدّة .
18 مصطلح يعبّر به عن العهد الأبوي، والذي دشّن عهد سيادة الذكر على كافّة مجالات الحياة .
19 يوسف محمود عليمات: تحوّلات التّابع: قراءة في قصيدة" واحرّ قلباه ..." للمتنبّي، مجلّة جامعة الشّارقة ع 12،ص 1، 2013 .
20 أنطوان تشيخوف، الأعمال المختارة، مج1، ص 91 .
21 المصدر نفسه ص 79 .
22 المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .